حياتي

أحمد أمين

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لصاحبها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

أحمد أمين

حياتي

الطبعة السادسة

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

١٩٧٨

مقدمة الطبعة الأولى

لم أتهيب شيئاً من تأليف ماتهيبت من إخراج هذا الكتاب فإن كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض أو غيرى الموصوف وأنا الواصف ، وأما هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف ، والعين لاترى نفسها إلا بمرآة ، والشيء إذا زاد قربه صعبت رؤيته ، والنفس لاترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق ، أو بمحاولة للتجرد ثم توزيعها على شخصيتين : ناظرة ومنظورة، وحاكمة ومحكومة وماالشنق ذلك وأضناه .

ومع هذا فكيف يكون الإنصاف ؟ إن النفس إماأن تغلو فى تقدير ذاتها فتنسب إليها ماليس لها ، أو تبالغ فى تقدير ماصدر عنها ، أو تبرر ماساء من تصرفها ، وإما أن تغمطها حقها . ويحملها حب العدالة على تهوين شأنها فتسلبها مالها ، أو تقلل من قيمة أعمالها ، أو تنظر بمنظار أسود لكل مايأتى منها أما أن تقف من نفسها موقف القاضى العادل ، والحكم النزيه ، فمطلب عز حتى على الفلاسفة والحكماء .

ثم إن للنفس أعماقاً كأعماق البحار ، وغموضاً كغموض الليل ، فالوعى واللاوعى ، والعقل الباطن والظاهر ، والشعور البسيط والمركب ، والباعث السطحى والعميق ، والغرض القريب

والبعيد — كل هذا وأمثاله يجعل تحليلها صعب المنال ، وفهمها أقرب إلى المحال .

وقد يخدع الإنسان فيكون من السهل اكتشاف الخديعة والوقوف على حقيقتها ، وتبين أمرها ، وتفهم بواعثها ومراميها أما أن يخدع الإنسان نفسه فأمر غارق فى الأعماق مغلف بألف حجاب وحجاب .

من أجل هذا كان قول سقراط : « اعرف نفسك بنفسك » تكليفا شططاً ، وأمراً يفوق الطاقة .

ولكن على المرء أن يبذل جهده فى تعرف الحق ، وتحرى الصدق ، ليبرىء نفسه ويريح ضميره ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

على ذلك وضعت هذا الكتاب ، ولم أذكر فيه كل الحق ، ولكنى لم أذكر فيه أيضاً إلا الحق ، فمن الحق ما يزل قوله وتنبو الآذن عن سماعه ، وإذا كنا لا نستسغ عرى كل الجسم فكيف نستسيغ عرى كل النفس؟ — إلى أحداث تافهة حدثت لى أو لغيرى معى ، لا نتع فى ذكرها ، والإطالة فى عرضها .

ثم إن حديث الإنسان عن نفسه — عادة — بغيض ثقيل ، لأن حب الإنسان نفسه كثيراً ما يدعوه أن يشوب حديثه بالمديح ولو عن طريق التواضع أو الإيماء أو التلويح ، وفى

هذا المديح دلالة على التسامى والتعالى من القائل ، ومدعاة للاشمئزاز والنفور من القارىء والسامع ، ولذلك لا يستساغ الحديث عن النفس إلا بضروب من اللباقة ، وأفانين من اللياقة .

* * *

وترددت — أيضاً — فى نشره : ما للناس و« حياتى » ؟ لست بالسياسى العظيم ، ولا ذى المنصب الخطير ، الذى إذا نشر مذكراته ، أو ترجم لحياته ، أبان عن غوامض لم تعرف ، أو مخبآت لم تظهر ، فجلى الحق وأكمل التاريخ ، ولا أنا بالمغامر الذى استكشف مجهولا من حقائق العالم ، فحاول وصفه وأضاف ثروة إلى العلم ، أو مجهولا من العواطف — كالحب والبطولة أو نحوهما فجلاه ، وزاد بعمله فى ثروة الأدب وتاريخ الفن — ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد ، ناضل وحارب وانتصر وانهزم ، وقاوم الكبراء والأمراء ، أو الشعوب والجماهير ، فرضوا عنه أحياناً ، وغضبوا عليه أحياناً ، وسعد وشقى ، وعذب وكرم ، فهو يروى أحداثه لتكون عبرة ، وينشر مذكراته لتكون درساً .

لست بشىء من ذلك ولا قريب من ذلك ، ففيم أنشر « حياتى » ؟ .

ولكن سرعان ما أجيب بأن عصر الأرستقراطية كاد يزول من غير رجعة ، وينقضى من غير عود ، وأزهرت الديمقراطية فحلت محلها ، ونشرت سلطانها ، وتغلغلت حتى فى الفن والأدب ، كان الشعر فى الشرق لا يعيش إلا فى قصور الخلفاء والأمراء فعاش فى الناس بعيداً عن القصور ، وكانت أهم موضوعاته المديح وخير أساليبه المزوق المطرز ، فصارت مواضيعه كل شىء إلا المديح وأسلوبه كل شىء إلا الإفراط فى الزينة ، وكانت الروايات التمثيلية فى الغرب لا تتخذ موضوعها إلا من حياة الملوك والأمراء ، ولا تعرج على شىء من حياة الفقراء ، إلا لإضحاك الأغنياء ، ثم دار الزمن دورته ، فصار كل شىء موضوعاً للرواية ، كوخ الفقير وقصر الأمير ، وعيشة المترف الناعم وعيشة الجهد البائس ، والفلاحة فى الحقل والأميرة فى القصر — وقد كان المؤرخ إنما يؤرخ للخلفاء وأعمالهم ا ومبانيهم وحروبهم وإقطاعهم ، ومن اتصل بهم ، وما صدر عنهم من فعل ، وما روى لهم من قول ، ولا شىء غير ذلك ، ثم صار المؤرخ يؤرخ للشعب كما يؤرخ للسلطان ويؤرخ الفقير كما يؤرخ الغنى ، ويؤرخ للزراعة كما يؤرخ الإمارة — فحياة المغمورين هامة كحياة المشهورين .

فلماذا — إذن — لا أؤرخ « حياتى » لعلها تصور جانباً من جوانب جيلنا ، وتصف نمطاً من أنماط حياتنا ، ولعلها تفيد

القارئ اليوم ، وتعين غداً مؤرخاً ، فقد عنيت أن أصف ماحولى مؤثراً فى نفسى ، ونفسى متأثرة بما حولى .

* * *

نبتت عندى فكرة تاريخ حياتى ، منذ أول عهد شبابى ، فقد رأيتنى أدون مذكرات يومية عن رحلاتى . وعن حياتى فى الأسرة أيام زواجى ، ووجدتنى أسجل فى المذكرات السنوية أهم أحداث السنة ، ومايسوء منها ومايسر ، ولكن لم يكن كل ذلك عملا منظماً متواصلا ، بل كان يحدث فى فترات متقطعة — ثم نمت الفكرة وشغلت بالى فى العام الماضى ، فكنت أعصر ذاكرتى لأستقطر منها مااختزنته منذ أيام طفولتى إلى شيخوختى ، وكلما ذكرت حادثة دونتها فى إيجاز ومن غير ترتيب — فلما فرغت من ذلك ضممته إلى مذكراتى اليومية ثم عمدت — فى الأشهر القريبة — إلى ترتيبه وكتابته من جديد على النحو الذى يراه القارىء ، من غير تصنع ولا تأنق ،

والله هو الموفق .

الجيزة ٢٦ مارس سنة ١٩٥٠

أحمد أمين